

## في نقد الموقف القومي الراهن والأسس النظرية لنحالفه

### حلمي شعراوي

كان لي شرف الالتقاء بالمفكر الراحل عصمت سيف الدولة، منذ كان ترددي على "مصطبة" الراحلين عبد العزيز الأهواني، ومحمد أحمد خلف الله وغيرهما في بهو سميراميس القديم وأخر الستينيات وأوائل السبعينيات. وكانت صلتني بجماعة مجلة الكاتب بحكم مساندة الأهواني لها أكثر توثقاً من صلتني بمجلة الطليعة، ومدرستها الخاصة في التفكير. وكان حرصي الدائم على أن أضع المسائل الأفريقية التي تشغلني أساساً على مائدة المدرسة القومية والماركسية في مصر قدر ما يسمح به حجمي بين هؤلاء ومنهم سيف الدولة.

كانت مدرسة "الحركة القومية" منشغلة بتميزها- ما لم نقل فك اشتباكها- مع الحركة الماركسية، مع الحفاظ على طابعها اليساري، كما تعبر عن ذلك صياغتها "الجبهات الشعبية"، و"الديمقراطية" وفي تجارب اليمن والجزائر... إلخ، وكانت كل ظروف أوائل السبعينيات تدفع هذه التمييزات حتى بين فصائل الماركسيين أنفسهم، وكانت المغامرات المضادة للوطنية والقومية والاشتراكية تدفع دعوات التحالف أو التنسيق على الأقل، كما بدا الأمر في مصر من ناحية، وفي دول عربية مشرقية من ناحية أخرى، حيث دخلت الناصرية في مأزق الساداتية، ودخلت القومية في مأزق "القطرية" ... الخ .

فهمت طوال الوقت أن مشروع سيف الدولة الفكري والمشروع القومي عموماً يقوم على مقولة : "الثورة العربية"، بعناصرها "القومية" و"بطلانها" - أو كل تنظيماتها "الثورية". وكانت "الثورة" و"الطليعة" من مقولات اليسار العربي العريض عموماً ، ناصرياً أو ماركسياً مهما تنوعت شروحيها. وبحكم انشغالي في القضايا الأفريقية ومتابعتي للواقع العربي نفسه، كان شاغلي هو ثنائية " امبريالية- تحرر وطني "، باعتبار متابعة جيلي لتزايد السيطرة الأمريكية وحلفها مع الصهيونية ضد المطامح- بل والمكاسب- الوطنية القومية حتى حرب ١٩٧٣ .

لا أعرف بالضبط متى تسلل مصطلح "المشروع الحضاري" و"المشروع النهضوي" العربيين إلى فكر الحركة القومية العربية، والى فكر "الثورة العربية"، ولكنني رأيت أن مجاورة القومية والإسلام عند سيف الدولة لم تبرز إلا أواخر الثمانينيات (في كتابه المعروف عن العروبة والإسلام).

وبالمثل وقع تخفف الماركسيين من ثنائية "الإمبريالية- التحرر الوطني" والتي قادت إلى مشاكل كثيرة في تقدير مخاطر المشروع الصهيوني إزاء قضية الصراع الطبقي، وحتى الاجتماعي، باعتبار أن مضمونها أصبح وطنياً بالضرورة أمام توحش المشروع الرأسمالي الامبريالي العالمي.

على الجانب القومي- الناصري، بدت المسألة أكثر ارتباكاً . ذلك أن القول بالمشروع الحضاري أو النهوض، سوف يتجاوز القول بالثورة العربية القومية. القول بالأول يؤدي إلى الصراع

الحضاري... وقد يؤدي- أيضاً- إلى الحوار الحضاري ! ومع مشروع آخر مطروح باسم الصهيونية أو الشرق أوسطية... الخ، أما مشروع الثورة العربية فهو الأقرب للقول بصراع الوجود لا الحدود... الخ.

ولا أنتظر من أحد الرد هنا بنصوص ودراسات، فأنا أتحدث عن "الرسالة" التي ستصل إلى جمهور وليس عن "خطابات" العلماء. قد ألمح هنا تفسيراً أكثر خبثاً، يرجع الأمر إلى ضعف المشروع القومي "ولجونه للاقتراب من المشروع الحضاري الإسلامي بديلاً للالتزام بمعنى "الثورة" في مشروعه الخاص، مثلما لجأ من قبل إلى الاقتراب من مشروع الماركسيين للثورة أيام صعوده في الخمسينيات والستينيات! لكن لا بد من تذكر أن "الجولة الأولى" أدت إلى تحالف عريض لليسار، ضم الناصرية والقومية والماركسية، وفئات الشعب العاملة جميعاً، وتصدى للرأسمالية والامبريالية وإسرائيل، بينما التطور الراهن، وأحاديث "الحضاري" و"القومي-الإسلامي"، لا تؤدي إلا إلى الوهن بسهولة، وبدون التنقيب عن "النصوص".

وأنا أتحدث هنا عن "عملية سياسية" تجري في الساحة تشير إلى تحالفات، وتحالفات مضادة، كما تشير إلى "إسلام سياسي" واختيارات اجتماعية "كلية وليس إلى قاعدة من الثقافة العربية الإسلامية فقط". .. إذا انطلقنا من ذلك نقول إن التركيز على الاختيار القومي الإسلامي أو المراهنة عليه بالصورة الواقعة أماناً، تفجر بعض الملاحظات والتناقضات الجديرة بتأمل القوميين والناصرين بل والإسلاميين كل في ما يخصه :

١- هل سنفك الاشتباك بين الثورة العربية ومضمونها الاجتماعي- الاشتراكي الذي ربطها بقوى اليسار المختلفة؟ وهذا الافتكاك، استجابة لمن؟ للوهن أمام العولمة الامبريالية؟ أم أمام الطبيعة الرأسمالية للمشروع الإسلامي، بل والرأسمالية التجارية التي هي أضعف أشكال الرأسمالية والأكثر استجابة لقوانين التجارة الدولية "المعولمة"؟

٢- وهل تتسلح العروبة والإسلامية بعنصرية "مقلوبة" أو معكوسة لا أكثر أمام المشروع "الحضاري الغربي" أم تتسلح بفهم موضوعي لحركة الرأسمالية العالمية ونظامها العالمي، في ظل مفهوم لـ "التحرر الوطني الاجتماعي" وليس "مشروعات حضارية" مترهلة..؟

٣- من هم حملة المشروع الحضاري أو النهضوي؟ ومن هم حملة المشروع الاجتماعي اليساري؟ وأي صياغة في هذا الصدد أقرب للتراث الناصري أو القومي أو تراث سيف الدولة الذي نحتفي به؟

إن القوميين لا بد أن يسلموا بأن إحدى قسّمات الشكل الراهن والسائد عموماً للأمية الإسلامية ربما كانت تتمثل في الميل إلى الطابع الرأسمالي للنظام الاجتماعي، ولم يبد نزوع اجتماعي واضح- ناهيك عن "اشتراكي"- في بلد إسلامي مثل باكستان أو إيران أو السودان، إذن فإن رهان القوميين أو الناصريين في هذا التحالف يقتصر على الثقافة الشعبية ويتعاضى عن الرؤية الاجتماعية، وهي الأصل.

قد ينير ذلك مسألة أخرى جديرة بالتطوير عند التيار الناصري، وهي مفهومه عن "الرأسمالية الوطنية" غير المستغلة. وسيبرر الإسلاميون تلك الصفة الأخيرة بدخول الاخلاق الإسلامية،

وأعتقد بأنه في أي اقتصاد سياسي لا توجد "رأسمالية" غير مستغلة، ولكن يحكم موقفها فقط مدى قدرة مشروع الدولة الوطنية على تحجيمها.

٤- إن القوميين- الناصريين، مثل الماركسيين، عليهم أن يراجعوا مفهوم الطليعة، سواء كانت "الطليعة الثورية" كما عند سيف الدولة أو الطليعة الحزبية- البروليتارية عند الماركسيين، فلا يجوز في ظروف الفكر الاجتماعي الراهن، وبعد تجارب مريرة على كل الجبهات، الحديث عن " قوى طليعية" تفرض- تدريجياً- التمايزات، وفلسفات الإنابة عن الجماهير الواسعة، وعن تنظيمات " أصحاب مصالح حقيقية" مثل "المعوقين"، العاطلين، أصحاب مشروعات صغيرة... الخ، وكل ذلك يمكن أن يعمل وفق "هيمنة" جديدة للفكر القومي واليساري، وليس نفي ذلك عبر مقولات المجتمع المدني والديمقراطية الليبرالية المبررة فقط لسياسات الانفتاح والتكيف الهيكلي .

مفهوم الطليعة إذن يقوم على الاستبعاد، بينما المفهوم الاجتماعي يقوم على إدماج مزيد من القوى الاجتماعية والفكر الاجتماعي، ولذا فإن الحلف اليساري الوطني هو الأولى بالرعاية.

٥- ما دمنا نتحدث عن الاستبعاد والادماج الاجتماعي، فلا بد من أن يراجع بعض القوميون موقفهم من "الثقافات الفرعية" الدأخلية في التحالف القومي الاجتماعي على مستوى الوطن العربي، إنها هويات ربما أثبتت استمرار حضورها، رغم مشاركتها في "الإسلامي" و"الوطني" على السواء على مدى قرون.

٦- إن الطرح المنطقي هو لتحالف وطني شعبي، لمرحلة انتقال قد تطول، يتصدى للامبريالية والصهيونية والرأسمالية، ويقوم على فكر اجتماعي ليسار عريض يجمع القوميون والناصرين والماركسيين والحركات الدينية المستنيرة ذات البرنامج الاجتماعي لا الثقافي فقط، يتخذ موقفاً وحدوياً صحيحاً في الفكر وتجاه وحدة المجتمع العربي المتنوع القوي، وتجاه الصراع العربي- الصهيوني، وفلسفات العولمة- التفتيت .

عندئذ سنعلم جميعاً أين نقاط ضعفنا، وأين تلزم المراجعة والنقد الذاتي .. كما قد نتعلم أكثر من سيف الدولة أو نراجعه.

## المناقشات

### ١- كمال شاتيللا

إن النظرية والاستراتيجية لا تبنى إلا على تشخيص دقيق لطبيعة المرحلة والتحديات السائدة دولياً وإقليمياً ووطنياً . والتكتيك هو العمل التطبيقي للاستراتيجية، ويتضمن إزالة العوائق أمام التوجه الاستراتيجي، هذا هو كما أفهم الأسلوب العلمي في العمل السياسي : نظرية- استراتيجية- تكتيك . والخلط هنا بين الأيديولوجيا والاستراتيجية، أي بين الهدف النهائي والأهداف المرحلية، له مشاكله المعقدة فضلاً عن أنه يشوش الرؤية، أو يطرح على الناس حلولاً بعيدة جداً كما يبدو لها وغير قابلة للتحقيق في اللحظة الراهنة، ما قد يؤدي إلى نوع من الإحباط القومي.

إن اهتمام المثقفين العربيين بطبيعة كل مرحلة لاستخراج المهام القومية التي تستجيب للتحديات المطروحة، هو قضية القضايا. فلا نطرح الآن ما كان مطروحاً في مراحل الخمسينيات

والستينيات والسبعينيات، إذا كان ذلك لا يستجيب للتحديات الراهنة، وبخاصة أن التحديات الراهنة تشكل تهديداً للوجود القومي نفسه، وليس فقط لأيديولوجيات معينة.

كان مطروحاً مثلاً في الخمسينيات كطبيعة للمرحلة، التحرر والتبعية، كانت المعارك ضد الأحلاف الاستعمارية، وكانت المرحلة ذات طابع وحدوي أضيف إلى خط المواجهة ليصبح خط التحرر الوحدوي في مقابل خط التبعية والانفصال، وكانت الكتل الشعبية العربية أمام وضوح في الهدف المرهلي، وبخاصة بعد الانفصال عام ١٩٦١. وابتداء من العامين ١٩٦١ و ١٩٦٢ طرحت الاشتراكية كميّار للتقدمية، فصارت طبيعة المرحلة اشتراكية في مواجهة الإقطاع ورأس المال المستغل . ومن ضمن هذه المرحلة نشبت مواجهة حادة بين خطين: خط الاشتراكية العربية بمحتوى قومي عربي ينطلق من الخصائص والتجارب الذاتية للأمة ، وخط اشتراكي يزعم العلمية الاشتراكية الماركسية.

نعود لطبيعة المرحلة، لو دعي أي باحث اليوم لندوة شبابية تحت عنوان " أي اشتراكية نريد؟" فمن يحضر ومن يهتم؟ في حين لو تحدثت عن القومية العربية أو العروبة والإسلام في مواجهة العولمة، لجاءك كثيرون؟ ولو تحدثت عن تجديد المشروع القومي العربي، أو تقويم تجارب العمل القومي، أو مواجهة الشرق أوسطية والمشروع الصهيوني، ولو تحدثت عن المخاطر على الوحدات الوطنية، فإنك تجد من يهتم ومن يشارك ومن هو مستعد للعمل دفاعاً عن الوجود العربي.

إن المؤتمر اليهودي العالمي الذي انعقد في القدس عام ١٩٨٢ قرر تقسيم البلدان العربية الكبيرة إلى إثنيات وأعراق وطوائف ومذاهب، وهذا التحدي الجديد لم يكن مطروحاً في الستينيات والسبعينيات، فلو تجاهلنا هذا المشروع الإسرائيلي وأخذنا بفكرة "تحطيم الدولة الإقليمية" ما الذي يحدث؟

اليوم لو خاطبنا الناس أيديولوجياً وقلنا لهم استراتيجياً : التزموا بشعار كل شيء أو لا شيء فما الذي سيحدث؟ سيشعر الناس بمسافة هائلة بين الخطاب والواقع، واقع تهديد الوحدة الوطنية والاختراق الإسرائيلي الواسع للمنطقة العربية، وهجوم العولمة الأمريكية على كل مفاصل القوة العربية، سيشعر الناس بإحباط قومي نلاحظ ظواهر عديدة له في الساحة العربية، وهو نوع من الإحباط ناتج من المقارنة بين الواقع والحلم، ومن دون أن يرى المواطن العربي الجسر الاستراتيجي الذي ينطلق من الواقع لخطة متوسطة المدى يشعر من خلالها أنه قادر على مواجهة التحدي .

إن المرحلة الراهنة مثلاً تستوجب التمسك بكل رابطة جامعة للعرب رسمية وشعبية، لأن التحديات الخارجية تعمل لتأييد العصبية القطرية، وتذويب العروبة كرابط قومي بين الأقطار، وتحطيم فكرة الأمن القومي العربي على أي مستوى، وإضعاف اللغة العربية ونزع الهوية العربية عن المنطقة. إذ ليس الصراع الآن بين هيكلية جامعة الدول العربية ومشروع وحدوي يدق الأبواب ليُدخل وينتشر.

## ٢- أحمد الصاوي

إن الحديث عن استراتيجيا الحركة العربية ينبغي أن يبدأ أولاً بأن نعرف يقيناً على أي أرض نقف وأين نضع أقدامنا في أول خطوة.

إن عصر الوصفات "السياسية أو الأيديولوجية" قد انتهى بلا رجعة وان الإجابة عن الأسئلة والتحديات التي يطرحها الواقع تستلزم العلم التفصيلي والإلمام الشامل والمعرفي بدقائق هذا الواقع .

واعتقد أن هناك ثلاثة محاور رئيسية تمهيدية ينبغي النقاش حولها قبل أي حديث عن استراتيجية الحركة العربية وهي :

أ- تقويم تجارب الماضي، التي انتهت إلى حقيقة هامة ألا وهي أن الوحدة هي اختيار اجتماعي قبل أن تكون حتمية آلية، وأنه ليس هناك تلازم آلي بين وجود الأمة ووحدتها السياسية.

ب- طبيعية مرحلة "الإفاقة" التي يمر بها الفكر السياسي العربي بمختلف مدارس وروافده والتي يمكن إيجازها في :

- تأكيد جملة من "الاستبعادات"، وفي المقدمة منها أن لمجتمعنا العربي خصوصية حضارية تستوجب حلولاً خاصة ومبدعة.

- بروز مشتركات بين الأفكار العامة للتيارات السياسية ومنها : الديمقراطية، والعداء للصهيونية، والوحدة.

ج- دراسة متأنية ومستفيضة لجملة التغيرات الاجتماعية التي عصفت بالوطن العربي وهي تغيرات نتجت من حزمة متألفة من العوامل الدولية والإقليمية ويمكن إيجازها في :

- تراجع الطابع الإنتاجي للاقتصادات العربية وبروز الاعتماد على الخارج .

- تراجع دور القوى المنتجة التي كانت تشكل عماد القوى الوحودية.

- اندثار الدور الوطني للجيش بسبب التغيرات الاجتماعية وبسبب طبيعة وتوجهات الدول الإقليمية.

إن دراسة هذه المتغيرات يمكن أن تكشف عن القوى المساندة للوحدة وأيضاً المناوئة لها، وبالتالي الأساليب والوسائط التي ستلجأ إليها الحركة العربية القومية لتحقيق أهدافها.

## ٣- عبد العظيم المغربي

إن أية استراتيجية عربية (قومية) لا بد من أن تؤكد من جديد أنه في مواجهة المخاطر العالمية والإقليمية والمحلية لا سبيل إلا الاعتصام بعناصر المشروع القومي (حرية- اشتراكية- وحدة) كما كان يفكر عصمت سيف الدولة.

كما يجب أن نأخذ في الاعتبار أن العلاقات أصبحت متشابكة ومركبة، وبالتالي نحن مطالبون برؤية وأساليب متشابكة ومركبة تعمل في وقت واحد من أجل البناء الوطني كلبنة في البناء القومي وفي الوقت ذاته من منظور إسلامي وإنساني دولي ... وذلك من أجل مواجهة الكيان الصهيوني والهجمة الأمريكية مؤكدين على أنه لا بقاء للأمة العربية في ظل الاعتراف بالكيان الصهيوني، وأن زواله وإن طال الزمن أمر محتوم، ونحن مطالبون بوعينا ومقاومتنا بالعمل على تسريع هذه النتيجة.

ومن أجل تحقيق ذلك لا بد من الاعتراف والسعي لتكوين حركة وطنية جديدة تكون نواة لحركة عربية قومية موحدة- حركة وطنية تضم الوطنيين المؤمنين بثوابت النضال من كل الاتجاهات.

#### ٤- محمد المسعود الشابي

عند تناول استراتيجيا الحركة القومية تبرز عدة حقائق رئيسية في الإطار الدولي والعربي وأهمها:

أ- أن ميزان القوة على النطاق الدولي متغير، وأن سيطرة أمريكا المنفردة لن تستمر إلى ما لا نهاية، وأن مؤشرات كثيرة اليوم تدل على ذلك سواء داخل أمريكا أو خارجها.

ب- أن الدولة القطرية التي أصبحت تشكل الرافعة بيد التحالف الأمريكي- الإسرائيلي التي تمنع وحدة الشعب العربي سوف تعاني ضعفاً كبيراً إن لم تنزلق إلى الانحلال بموجب تطورات دولية في البدء وبموجب تطورات داخلية ثانية للأسباب التالية :

- ان تطور وسائل الاتصال والإعلام أصبح يمنعها من احتكار المعلومات، وبالتالي يؤدي إلى فضح أدوارها وما يجري فيها (الفضائيات والانترنت).

- ان منظمة التجارة الدولية ستؤدي إلى حرمانها من جزء مهم من مداخيلها، الأمر الذي سيؤدي إلى عدم قدرتها على الانفاق على أجهزة القمع التي تستعملها لكبح الجماهير.

- ان خصخصة القطاع العام ستقضي على نفوذها الاقتصادي في احتواء عدد كبير من مواطنيها، وبالتالي تقل سيطرتها عليهم ما يسمح لهم بالمشاركة في النضال الجماهيري .

- ان هذه التطورات ستفرز قوى اجتماعية جديدة لها مصلحة في نظام أكثر انفتاحاً وديمقراطية.

- كما ستؤدي هذه التطورات إلى مزيد من الإفكار للجماهير الأمر الذي يهيئ لنشوء حركات سياسية مناهضة للدولة القطرية (وهنا يجب التفكير في الحركة العربية الواحدة لأن المناخ النفسي والاجتماعي أصبح يتقبل ذلك).

إلا أن هذه الاستراتيجية المنوه بها يجب منذ البدء أن تعد خطتين: أولهما دفاعية تتصدى للاختراقات التي يمكن أن تقوم بها إسرائيل في الجسم العربي وتسد النوافذ أمامها. وثانيتهما خطة تقوم برصد تناقضات الجسم الإسرائيلي وإعداد الوسائل للتعامل معها بالصورة الصحيحة، فالتسويات التي تمت وستتم لن تضع حداً للصراع العربي- الإسرائيلي وإنما تنقله إلى مستوى آخر أكثر تعقيداً يستدعي مهارات فكرية أكثر مما يستدعي مهارات عسكرية.

## ٥- أمين اسكندر

إن بناء الوحدة يبدأ من أسفل.

لم يعد مقبولاً في ظل التغيرات الواقعة في وطننا العربي أن تتمسك الطليعة القومية بالمفاهيم والأساليب والنماذج التقليدية نفسها في رسم ملامح استراتيجية للحركة القومية.

ومن هنا أرى أن استراتيجية بناء الوحدة من أسفل لا بد من أن تفرق بوضوح بين القرار السياسي بالوحدة ومعمار الوحدة وهو دور منوط بالمواطن العربي الذي أغفل دوره في بناء الوحدة.

بعد ذلك أرى أن استراتيجية بناء الوحدة من أسفل لا بد من أن تعبر عن شبكية الحياة المجتمعية للمواطن العربي، وأن تعبر كذلك عن تفاعل محاور الحركة الناتجة من تحليل دقيق للمرحلة. ومن هنا أركز على أن تكون قاعدة البناء من أسفل هي قاعدة الوحدة وأن يكون الضلع الآخر هو مقاومة التطبيع، والضلع الثالث هو النضال من أجل الديمقراطية وتداول السلطة، وأن يكون الضلع الأخير هو تجسيد العدالة الاجتماعية.

بعد ذلك يأتي دور الطليعي القومي في تثبيت فكر الوحدة وأبجديات الصراع العربي- الإسرائيلي، وفي تقديم نماذج عديدة لبناء الوحدة من أسفل.

## ٦- صفوت حاتم

أود أن أبدأ بذكر حوار شخصي كان لي مع الدكتور عصمت سيف الدولة قبل شهر قليلة من وفاته. فقد ذكر لي أنه متأكد من أنه لن يمر الربع الأول من القرن الحادي والعشرين إلا وتكون الأمة العربية قد حققت وحدتها السياسية وأقامت دولتها الواحدة.

ولست أريد الدخول تفصيلاً في ما قاله، ولكن هذه المقولة "النبوءة" لا يجب أن تؤخذ باعتبارها مجرد حديث عابر أراد به شيخ كبير أن يرفع من معنويات شاب من مريديه انتابه اليأس؟!!

لماذا أذكر هذه النبوءة بالذات؟

لسبب ربما يعرفه من يطالعون كتابات عصمت سيف الدولة، وهو قدرته على التنبؤ بأحداث كثيرة قبل حدوثها.

من كان يتنبأ عام ١٩٧٠ أن المقاومة الفلسطينية سوف تعترف بعدها عندما كتب مقاله الشهير "المقاومة الفلسطينية من وجهة نظر قومية"، والذي نشر بعد ذلك في كتاب التقدم على الطريق المسدود؟ من كان يتنبأ أن معاهدة كامب ديفيد ستؤدي إلى انهيار كامل في بنية النظام العربي كما تنبأ عصمت سيف الدولة في مرافعته السياسية والدستورية والقانونية (وهي الوثيقة التي حملت بعد ذلك عنوان "هذه المعاهدة") التي أرسلها إلى نواب مجلس الشعب المصري قبل أن يصوتوا على المعاهدة يحذرهم فيها من مخاطر الموافقة على الاتفاقية.

وهناك أيضاً نبوءة كان قد ذكرها عام ١٩٨٢ حينما غزت إسرائيل لبنان. أيامها كتب عصمت سيف الدولة مقالة شهيرة بعنوان "أيها الشباب العربي هذه فرصتكم لتحرير فلسطين!!" يقول فيها إن إسرائيل قد قامت لأول مرة بالدخول في تخوم سكانية وعرة وأنها فرصة "تاريخية" لبدء

حرب شعبية تبدأ بלבnan ولا تنتهي فيه. والمتابع لما يحدث في إسرائيل يعرف كيف أنهم يشبهون التورط الإسرائيلي في لبنان بالتورط الأمريكي في فيتنام ، بل ان كاتباً إسرائيلياً يسميها "الحرب التي خسرتها!!" وأعتقد أن حزب الله هو الذي فهم "الرسالة" قبل الآخرين.

فإن إسرائيل التي احتفلت منذ سنتين بالذكرى الخمسين بكثير من الزهو والغرور نسيت أن الإمبراطورية السوفياتية كانت قد احتفلت هي الأخرى بالذكرى الخمسين لنشأتها بكثير من الزهو والغرور من دون أن يتطرق لذهن المحققين أنها ستسقط قبل مرور ربع قرن على هذا الاحتفال!؟

قبل عشر سنوات لم يكن يتوقع العنصريون البيض الذين يحكمون جنوب أفريقيا أن دولتهم ستسقط وسيحكمها- ويحكمهم- السود الذين عانوا الاضطهاد!

أما كيف سيتوحد العرب خلال ربع القرن القادم فلا نملك إلا أن نقول "هذا حديث آخر" تشبهاً بالراحل العظيم عندما كان ينهي حديثه بجملة شهيرة : "هذا حديث آخر".

#### ٧- محمد سيف الدولة

يجب أن يبدأ أي حوار حول المستقبل بالإجابة عن التساؤلات التالية :

أ- ما هي أسباب تعثر وانهزام المشروع القومي العربي؟ وما هو الموضوعي والذاتي في هذه الأسباب؟

ب- وعن الأسباب الموضوعية، هل كانت هذه الأسباب وعلى رأسها المشروع الأمريكي- الصهيوني وراء تعثر المشروع القومي فحسب أم أن ذلك كان مصير كل المشروعات السياسية الأخرى في الساحة العربية؟

وفي هذه الحالة ما هي نسبة الصواب والخطأ وما مدى صدقية الطرح القائل بأن انهزام المشروع القومي العربي يعني فساد منطلقاته وضرورة مراجعتها؟.. وهل مطلوب من القوى المعارضة للمشروع الأمريكي- الصهيوني والتي ليست طرفاً في الحكم في أي دولة عربية.. هل مطلوب منها أن تضبط مواقفها وتوجهاتها الفكرية والسياسية المبدئية على إيقاع موازين القوى الدولية الحالية بأضوائها الحمراء والخضراء.. أم أن لها مطلق الحرية في أن ترفع شعاراتها الخاصة من دون تقديم تنازلات؟

وفي قول آخر وعلى سبيل المثال: هل انتقاد الحركة القومية لعناصر القوة التي تمكنها حالياً من تحرير فلسطين أو تحقيق الوحدة يلزمها بأن تتخلى عن هذه الأهداف وتبني برامج وشعارات أقل طموحاً وأكثر مرونة؟

وإذا كانت الإجابة هي : "نعم يجب التنازل والتراجع والواقعية" ..

فإن السؤال يكون: أين حدث ذلك من قبل؟

وهل حركات الثورة والتغيير الكبرى في العالم التي نجحت بتحقيق مشروعاتها السياسية.. هل انتهجت هذا التوجه أم أنها كانت تنطلق دائماً من مشروع مناقض على طول الخط لما هو قائم بالفعل؟

ج- وعن الأسباب الذاتية لتعثر المشروع القومي العربي : ما هي مواطن الضعف في القوى القومية من النواحي الفكرية والسياسية والتنظيمية، وما هي أسباب تعددها واختلافها بعضها مع البعض الآخر؟ وهل هي أسباب موضوعية لا تزال قائمة أم أنها أسباب شخصية وذاتية؟ وما هي أسباب فشلها في محاولاتها المتعددة لتجاوز أزمته وتوحيد صفوفها؟ وما هو الجديد الذي يجب أن يقدم في أي محاولة جديدة لتوحيد الصفوف ولتجاوز التعدد والاختلاف؟ وهل حسن النيات يكفي أم أن هناك شروطاً أخرى؟

د- وماذا عن تجارب الآخرين وأدبيات القوى السياسية في عصور الهزيمة والتراجع في الأمم الأخرى وفي الأزمنة المختلفة؟

إن لدينا العديد من المراجع التي تتناول التجارب الوطنية والثورية الناجحة، ولكن ما أحوالنا في يومنا هذا إلى قراءة متأنية في أحوال الهزيمة والمهزومين..

وماذا عن علاقة أي استراتيجية مستقبلية للحركة القومية بقنوات التعبير والممارسة السياسية الشرعية التي يتيحها النظام الإقليمي العربي .. وأقصد بشكل أكثر تحديداً الممارسة السياسية عبر القنوات التي تسمح بها القوانين في الدول العربية؟

ليس مطلوباً أن نقدم إجابة سريعة وفورية لهذه الإشكالية.. ولكن في النهاية يجب أن نصل إلى إجابة واضحة وموضوعية.

## ٨- محمد الخولي

أ- ثمة دعوة لها ما يبررها إلى نشر وإعادة نشر الآثار الفكرية للمفكرين والمجهدين الكبار الذين كان لهم تأثيرهم في مسار الفكر القومي العربي في عصرنا.. يصدق هذا مثلاً على آثار ساطع الحصري وقسطنطين زريق وعصمت سيف الدولة وأضرابهم . والدعوة صحيحة في جوهرها.. ولكن أتصور أن تنشر هذه الآثار مشفوعة بشروح نقدية تتم على أساس إعادة قراءة أو عمليات لتنوير النص في هوامش وحواشي بحيث تفسر- من دون تدخل في المتن ولصالح أجيال الشباب بالذات- السياقات المحلية والملايسات الزمنية التي ارتبطت تاريخياً بقضايا المرحلة التي نشأت قبل حضور الكتابات.

وهناك أيضاً أسلوب الثبت الواحد الموجز لعرض أهم طروحات الكاتب أو المفكر (Reader) وهو يتجه بدوره إلى القارئ الشاب أو الباحث الذي لا يتسع وقته - وسط تعقيدات عصرنا وشواغله- للاطلاع الواسع والاستقصاء المحيط لآثار وكتابات هذا المفكر أو ذاك . وبفضل هذا المتن الموجز والمفهرس موضوعياً يمكن لمثل هذا القارئ أو الباحث أن يطلع على ما ذهب إليه زريق أو سيف الدولة أو الحصري مثلاً في ما يتعلق بالوجود القومي أو النظرة إلى الماركسية أو مفهوم الدولة أو دور وموقع الإسلام- عقيدة وشريعة- في الفكر القومي العربي... الخ.

ب- أرجو أن أسترعي النظر إلى جانب مهم وهو جانب الإبداع الأدبي عند عصمت سيف الدولة، فضلاً عن أهمية التحليل النقدي لأسلوب التعبير والأداء الأدبي في كتابات الدكتور سيف الدولة. فقد كان من حسن حظنا أن أخرج الدكتور عصمت إلى الناس، في مراحل متأخرة من حياته الحافلة اثنين من أعمال الإبداع الأدبي وهما قصة قرية ومشايخ قرية البداري وفيهما نسج عصمت سيف الدولة بين ترجمة حياته الشخصية والتأريخ لمرحلة حافلة في التكوين والحياة في صعيد مصر الأعلى .. وبدل الرجل بذلك على شمولية عطاء المفكر القومي- في إطار الثقافة القومية- بين الطرح الفكري والدرس السياسي والإبداع الأدبي.

ويقودنا هذا الجانب إلى أهمية لفت الأنظار إلى دور "الميديا" في حياتنا.. وهو دور متزايد دائم الاتساع.. وأتصور- ولو من باب الأمنيات- أن يتاح للفكر القومي (قناة تليفزيونية) تركز هذا الفكر وتدافع عنه ضد دعاوى الذوبان في العولمة "الشرق أوسطية" ودع عنك العزلة القطرية.. وهي تفعل ذلك بأساليب الإبداع الإعلامي على اختلافها.

مثل هذه المؤسسة التليفزيونية يمكن أن تعوض- ولو مرحلياً- من غياب التجمع السياسي.. فضلاً عن أن ترد غوائل التهجم والتجريح التي تتعرض لها العروبة دعوة وفكراً وممارسة.